بيت رسول الله(ص)، بايعه الشعب في ذلك الوقت على أن يكون أمير هذه المقاومة الكبرى، وكان رجلاً ثاقب النظر وصاحب رؤية وفكر ثاقب، لم يكن مجرد رجل يقود مقاومة، بل كان إنساناً ورجلاً أسّس للدولة الجزائرية، لذلك يعتبر هو مؤسس الدولة الجزائرية، لم يقد فقط جيشاً لمحاربة فرنسا فقط، بل أسس دولة لها دواوينها ووزرائها وقيادتها العسكرية، لها نظامها الإقتصادي وعاصمتها، يخاطب الملوك والأمراء ورؤساء الدول بإسم الأمير اي بإسم رئيس البلاد، لهذا يُعتبر عبد القادر الجزائري بذلك شخصية فذّة قلّ نظيرها في هذا البلد مع أنه كان يقود بنفسه الجيش، واستمرت مقاومته وقتاله لفرنسا أكثر من ١٨ عاماً، إنهزمت فرنسا امامه في عدة أماكن رغم الخيانة التي كانت موجودة في ذلك الوقت، ورغم قوة فرنسا التي كانت امبراطورية قوية جداً وكبيرة وليست فرنسا التي نراها اليوم، إنما نتكلم عن فرنسا التي احتلت نصف كرة الأرض من الهند الصينية الى غرب إفريقيا في ذلك الوقت، فكانت مقاومته قائمة على علم ورؤية سياسية واضحة، أساسها شكل الدولة التي تسيّر البلاد، فكان الرجل متكاملاً بمشروعه، لذلك فرنسا استخدمت كل اساليب المكر والخداع من اجل اسقاط هذه الدولة، كما أن دولته في غرب الجزائر كانت معروفة بسهولها وبقوة رجالها وبقوتهم في القتال والتفكير والتخطيط، وهنا اشير الى أنه عندما دخلت فرنسا الجزائر كانت نسبة الأمية صفر، إذ كان الشعب الجزائري كله يقرأ ويكتب وكان شعباً مثقفاً وهذه بشهادة المؤرخين الفرنسيين، أنهم لم يجدوا الشعب الجزائري أميّاً، لكن عندما خرجت فرنسا من الجزائر تركت ٩٩٪ من الشعب الجزائري لا يعرفون القراءة ولا الكتابة.

قادة شهداء لم يستسلموا للإستعمار

كبيرة هي الجزائر بكبر قاداتها الذين واجهوا فرنسا وحاربوها، وكبيرة هي بشعبها وشهداءها وجرحاها وابناء شهداءها، بالإضافة الى شخصية عبد القادر الجزائري فقد دخل التاريخ قادة آخرين بمقاومتهم وتركوا بصماتهم وآثارهم التي لا زالت قائمة حتى يومنا هذا، واحد هؤلاء هو من قاد المقاومة ٢٧ سنة الشيخ بوعمامة، كما يحفظ التاريخ ثورة أولاد سيد الشيخ، إضافة الى مقاومة الزعاطشة التي قامت مع بدايات الاستعمار الفرنسي للجزائر بقيادة الشيخ أحمد بوزيان في واحة الزعاطشة في ضواحي بسكرة الواقعة في الجنوب الجزائري حيث دامت ٤ أشهر، وقد أشتهرت لأنها أول ثورة إندلعت بعد مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري في ١٨٤٧، وقد أبادت فيها فرنسا بجرائمها كل سكان تلك الواحة عن آخرهم، كما يوجد في سجل المقاومة الجزائر ما يُعرف بـ "يوم غضب كبير"، ذلك اليوم الذي ثار فيه كل من الشيخ محمد أمزيان الحداد ومحمد بن أحمد المقراني ضد الفرنسيين إضافة الى ثورة القائد والزعيم الجزائري الناصر بن شهرة، كما يحفظ الجزائر قادة الثورة المعروفين مثل مصطفى بن بولعيد واحمد بن بلة، والقائد محمد بوضياف، العربي بن المهيدي، وغيرهم الكثير من القادة الكبار الذين كان لهم الدور الكبير في كل ما وصلت إليه الجزائر اليوم، والجدير بالذكر أن أكثر هؤلاء القادة استشهدوا في ساحات الشرف وساحات الوغى وساحات النضال والكفاح وبقى منهم ما بقى ما بعد الإستقلال.

الثورة الجزائرية

من هؤلاء القادة العظام الذين قادوا ثورة طيلة سنوات الإستعمار، شهدت الجزائر معهم وقبلهم وبعدهم محطات مهمة من المقاومة، في هذا يقول الدكتور ابراهيمي بأن معارك كثيرة وقعت في شرق البلاد وغربها سواء كانت مع الأمير عبد القادر الذي قاد المقاومة في الغرب، ومقاومة أحمد باي وهو رجل تركي وليس جزائرياً، ومن المعروف أن الدولة الجزائرية كانت في ذلك الوقت تحت الإنتداب التركي، إذ كانت الدولة الإسلامية الكبرى هي "تركيا"، وكانت الجزائر أحد الحواضر التركية، فكان احمد باي شخصية تركية قاد المقاومة في الشرق في مدينة قسنطينة ضد الفرنسيين وكانت معركة قوية جداً جداً دامت لشهور في النهاية سقطت هذه المدينة، ولنا الكثير من المعارك التي شهدتها الجزائر، اضافة الى فاطمة نسومر وهي المرأة التي قادت جيشاً ضد المستعمر وهزمت أكثر من جنرال ثم تم اسرها ووضعها داخل السجن حتى استشهدت داخل السجن، فكان هؤلاء رموز المقاومة، وهنا يمكن القول ان نتائج هذه المقاومة هي الثورة الجزائرية، الثورة التي شهدت الملاحم البطولية في الأوراس وملحمة الولايات الشرقية والغربية وملاحم كثيرة لا تحصى ولا تعد، لأن خلال سبع سنوات ونصف والثورة لم تهدأ، الثورة الجزائرية ثورة لم تشبه الى ثورة في العالم، اذ كانت الجزائر تشهد يومياً اعمال قتالية ودفاعية وعمليات مسلحة، وكان يومياً يسقط شهداء ويخلفون ايتاماً وأراملاً وإنتصارات وجرحى، فرنسا تركت بعد إستعمارها الملايين من الأيتام والجرحى والملايين من اسر الشهداء، إضافة الى اعمال النفي والإعتقال في الصحراء واسر الناس وإعتقالهم وسحبهم الى سجون لا تصلح لسكن الحيوانات وليس للإنسان، وإبقائهم وسط الصحراء وتحت درجات الحرارة العالية، هذا أضافة الى جعل الشعب الجزائري مواداً لتجاربهم النووية والطبية.

الحرية والوطن الأغلى

رغم كل ما عاشته الجزائر من جرائم وإضطهاد وتعذيب وأسر ونفي وتشريد، إلاّ أن المقاومة الجزائرية لم تتوقف ولم تستسلم حتى استطاع الشعب تحرير بلده من ظلم الإستعمار وقهره، وهنا يقول الدكتور ابراهيمي بأن هذه المقاومة قدمت لنا الحرية، فقد أخذنا حريتنا وأصبحنا بلداً ووطناً له علم وهوية وعنده جيش وأمن، ونحن الآن نعيش في بلادنا أحراراً كما نريد، نناصر القضايا العادلة مثل قضية فلسطين، اليوم الشعب الجزائري كله يناصر القضايا العادلة على الأرض، نحن دائماً كنا مع أهلنا في ايران عندما وقعوا تحت الظلم، علاقتنا كبيرة في وطننا مع كل أبناء الوطن، ونساهم اليوم في دعم كل أحرار العالم حتى في افريقيا، حررنا بلدنا ولناكلمة وأصبح عندنا دبلوماسية تعبّر عن هذا الشعب وهوية ننتمي اليها وهي هوية النبي محمد(ص).

الجزائر اول بلد عرف الإستيطان

إذاً، كانت الجزائر طيلة هذه السنوات ترضخ تحت ظلم الفرنسيين، إلاّ أن المقاومة التي شهدتها لم تكن مقاومة عادية، بل كانت مقاومة حققت استقلال وطن، إنتقلت بعدها الى مختلف المجتمعات، وفي هذا يرى الدكتور ابراهيمي بأن الظلم وإحتقار الناس وتجهليهم وسرقة الأراضي والإستيطان الذي نقرأه اليوم في فلسطين كانت الجزائر قد عاشته سابقاً عند استعمار الفرنسيين لوطننا، فأول بلد بدأ فيه نظام الإستيطان هو الجزائر، فقد تم أخذ الأراضي من اصحابها والإستيلاء عليها واعطيت للمستوطنين في ذلك الوقت، ونحن نسميهم "الكولون" هؤلاء الذين كانوا يسمونهم "معمّرين"، لكنهم في الواقع هم مدمّرون وليسوا معمرين، أخذوا الأراضي من الناس بقوة السلاح، فالجزائر بكبر مساحتها وكل السهول والمناطق الصالحة للزراعة تم الإستيلاء عليها بالقوة واعطوها لل "المعمّرون" الذين أتوا بهم من اسبانيا والبرتغال وايطاليا، هؤلاء المجرمون رموا بالناس الى الجبال والأحراش حيث كانوا يموتون من شدة الجوع الأمراض، فكانت هذه العوامل التي ساعدت في إنتشار الثورة، وأضيف الى أن الناس في ذلك الوقت صارت ترى أن حياتها لا قيمة لها وأن الموت اشرف لهم.

الجزائري حافظ على دينه وعقيدته بين الجبال

لم تكن أطماع فرنسا في الجزائر أرضاً وبيوتاً فقط، بل كان أحد اهدافها واطماعها وسياستها هو تغيير ثقافة بلد وعاداته وتقاليده، فعملت ما بوسعها سعياً للقضاء على كل تلك الهوية الثقافية، لكن الشعب وبوعيه وادراكه لكل هذه الاهداف استطاع رغم إحتلال وإستعمار دام أكثر من ١٣٠ عاماً، أن يحافظ على كل عاداته وتقاليده أمام محاولات الفرنسيين بالقضاء على ثقافة الجزائر، وفي هذا يضيف الدكتور ابراهيمي بأن القضاء ومحو ثقافة الجزائر وكل ما ينطوي تحت هذا العنوان كان من ضمن الإستراتيجية التي وضعها علماء الدين والدعاة، فعندما دخلت فرنسا انصدمت بمعرفة هذا الشعب بسياستها، وأدركت أنها ستواجه صعوبات في محاولاتها للقضاء على هوية الجزائر، صحيح أنه من الممكن لأي دولة أن تستعمر شعب، لكن من الصعب أن تغيّر هويته أو عقيدته أو تقضي على موروثه الحضاري، لذلك فإن علماء الجزائر كانوا بالمرصاد لهذه السياسة، فأول ما قام به علماؤنا عند الإستعمار هو تهريب المكتبة، إذ كان في الجزائر في ذلك الوقت مكتبة عالمية تعتبر من أكبر المكتبات في العالم وفي الجزائر، وكان الناس والعلماء والحريصين على الوطن يخبؤون الكتب في المغارت والجبال، ثم بدأوا يبنون المدارس القرآنية بين المقابر والجبال والأعالي حيث تشكلت المجتمعات هناك بعد النفي وممارسات الإضطهاد والإنتهاكات اليومية والمستمرة بحق الشعب، فكانت القرى تبنى في سفوح الجبال كي لا يصل إليها الفرنسيون، لأن في حال وصلت اليها فرنسا ستتكبد الخسائر، وبدأ التعليم القرآني وحفظ القرآن وبدأ المسؤولون يعلمون الناس شؤون الدين في هذه المناطق رغم صعوبة العيش، ترافق ذلك مع حركة سياسية وأحزاب سياسية نشأت في ذلك الوقت كانت مسؤوليتها تثقيف الناس وتوعيتهم حول أهداف هذا الإستعمار وغاياته، ومسؤولية الحفاظ على ديننا وقرآننا وعدم الإعتراف بهذا المستعمر والحفاظ على الهوية والتحيّن لأي فرصة للتخلص من هذا الإستعمار. إذاً حافظت الجزائر على عاداتها وتقاليدها ودينها وصلاتها بين الجبال وفي الأماكن الوعرة أمام الثقافة الغربية التي جاءت بها فرنسا، لأن فرنسا مستعمر ثقافي هكذا كبرنا على أهداف فرنسا وهذا ما رأيناه، فرنسا تركز على الثقافة كثيراً، عندما تستعمر بلد تعمل على مسح ثقافة وهوية وعادات وتقاليد هذا البلد.

المرأة ودورها المهم في المقاومة الثقافية

الى جانب المقاومة الشعبية والعسكرية والكفاح المسلّح شهدت الجزائر مقاومة ثقافية لا تقل أهمية عن اي نوع آخر من المقاومة، وهنا يستعيد الدكتور إبراهيمي بعض الأبيات الشعرية من قصيدة للشيخ بن باديس عندما أرادت فرنسا عام ١٩٣٠ الإحتفال بذكرى مرور مئة سنة على إحتلالها الجزائر، يوم اقامت حفلاً باذخاً صرفت فيه ما لا يُعقل وأتت بالضيوف من كل دول العالم لكي تُبيّن للعالم بأن الجزائر أصبحت فرنسية مئة بالمئة، وهنا صاح الشيخ بن باديس:

شَعْبُ الْجَزَائِرِ مُسْلِمٌ.....وَإِلَى الْعُرُوبَةِ يَنْتَسِبْ...مَنْ قَالَ حَادَ عَنْ أَصْلِهِ.....أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذَبْ...أَوْ رَامَ إِدْمَاجًا لَهُ.....رَامَ الْمُحَالَ مِنَ الطَّلَبْ...

هذا يعني أن الشعب الجزائري لا زال ملسماً ولم يمت ولم يغير هويته ولا ثقافته ولا دينه رغم مرور مئة عام من الإستعمار، من هذه الصيحة التي أطلقها الشيخ بن باديس بدأت الويلات تأتي على فرنسا من كل الجهات فلهذا كان هناك ثورة ثقافية حقيقة، إذ كانت المدارس والعلماء يعملون في السرّ، وأخذت جمعية علماء المسلمين على عاتقها بناء المدارس ومقاومة الفكر الإنهزامي، وكأي بلد يوجد في الجزائر من وافق وآمن أن فرنسا قوية ولا يمكن هزيمتها وإخراجها من الجزائر، كما بدأت جمعية العلماء المسلمين معركة ثقافية مع المنهزمين الذين رضوا بالمستعمر وضد المستعمر بحدّ ذاته، إذ كان هناك مدارس فرنسية لتعليم الثقافة الفرنسية فواجهها الشيخ بن باديس بتأسيس المدارس الإسلامية التي تحافظ على هويتنا الإسلامية، وقام الشيخ بن باديس في ذلك الوقت بخطوة مهمة جداً وهي تعليم المرأة، فكان هذا الرجل أول من أعطى حق البنات بالتعليم في ذلك الوقت، وكان يقول "اذا جئتم بقسم فيه ذكور يجب أن يكون هناك قسم آخر فيه بنات"، لأنه كان يعرف دور المرأة في إنشاء الجيل والحفاظ على الهوية ودورها في صناعة الرجال لأن المرأة عندما تكون مثقفة تعطيك وعندما تتكون متعلمة تعطيك.

المغرب واحة من واحات الكيان الصهيوني

رغم كل ما عاشته الجزائر تحت الإستعمار الفرنسي، إلاّ أن القضية الفلسطينية كانت ولا زالت نصب عينيها. فلأنها فلسطين القضية، إنتقلنا في حديثنا مع الدكتور ابراهيمي الى مواقف الجزائر تجاه فلسطين، هذه المواقف المشرفة التي يعرفها العالم أجمع، ويقول ابراهيمي بأن من أهم هذه المواقف هو إدخال منظمة التحرير الفلسطينية الى الأمم المتحدة، فالرئيس الفلسطيني ياسر عرفات عندما ذهب الى الأمم المتحدة ذهب بجواز سفر جزائري وبطائرة جزائرية وعندما خطب الرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين رحمه الله في الأمم المتحدة وتحدث عن فلسطين وقال الجزائر مع فلسطين ظالمة او مظلومة، كما أن المواقف الأخيرة للجزائر ضد التطبيع واضحة ومهمة، هذا يعني بأننا اليوم في حرب مع الكيان الإسرائيلي الغاصب للأرض والهوية والشعب الفلسطيني، والمصيبة الأكبر أننا كنا نحارب الكيان الصهيوني وهو موجود في فلسطين، اليوم سنحارب هذا الكيان وسنتواجه معه عسكرياً لأن وجوده اليوم أصبح على الحدود بعد التطبيع مع المغرب، إذ اصبح هناك قواعد عسكرية وطائرات ومطارات ومسيّرات، بل نقلوا الكثير من مصانعهم الى المغرب، واصبح المغرب واحة من واحات الكيان الصهيوني ونحن اهل الجزائر نقول أن فلسطين ستتحرر بإذن الله ونحن سنخوض المعركة النهائية مع الكيان الصهيوني على حدودنا الغربية وهذا هو مصير من ينصر القضايا العادلة وينصر أهلنا في كل مكان.

فلسطين أمّ القضايا

هي الجزائر ونصرتها للقضية الفلسطينية التي إمتد عمرها بعمر القضية، وفي حديثنا عن ابرز الإنتصارات التي حققتها الجزائر عبر تاريخها حتى اليوم نصرة لقضية فلسطيني عاد ابراهيمي بالذاكرة الى بيان أول نوفمبر يوم إطلاق رصاصة الثورة الجزائرية، فخلاصة المشروع السياسي والرؤية السياسية للمجاهدين الجزائرين الذين اطلقوا الثورة، كان ذات بعد مغاربي وإفريقي، وكانوا يتحدثون فيه عن دورنا في مساعدة الدول المستضعفة في حال حصلنا على استقلالنا، وكيف يجب أن تكون الجزائر سنداً للمستضعفين، أما فلسطين كانت وصية الشهداء ومنهم القائد العظيم ديدوش مراد الذي أرسل رسالة الى أمه قبل ان يستشهد بأيام وأوصاها على الكثير من النقاط، أما آخر وصية كتبها قائلاً: "يا أماه لن يكتمل استقلال الجزائر إلاّ بتحرير فلسطين"...هذا إضافة الى غيره من الشخصيات التي شدّدت على نصرة فلسطين والتي كانت تتحدث عن فلسفة الثورة والإستقلال والتحرير، والذين كانوا يؤكدون أنه بعد تحرير الجزائر من الإستعمار سيبقى دين في رقابنا هو ان نذهب ونحرر فلسطين، ففلسطين كانت ولا زالت حاضرة في أذهان الجزائريين، ولا ننسى أن الجزائريين ذهبوا في العام ٤٨ شاركوا في المعركة التي حدثت في فلسطين واحد النماذج هو الشيخ بشير ابراهيمي الذي جمع عشرة مليون فرنك فرنسي في ذلك الوقت لصالح المجاهدين في فلسطين، وفي تلك الأيام كانت الجزائر تعاني من مجاعة كبيرة في ذلك الوقت، وكان بعض الناس يتساءلون كيف تُجمع النقود والجزائر يشهد مجاعة لا وصف لها، فكان الجواب الدائم: إلاّ فلسطين فإنها أمّ القضايا، وذهب بنفسه الى فلسطين وشارك بمؤتمر القدس وسلّم المبلغ الى المجاهدين هناك داخل فلسطين، وكان ينقل السلاح من اليمن الى فلسطين وعرف بشخصية القوية. ولو عدنا الى التاريخ وما بعد استقلال الجزائر، الجزائر كان خارجاً من استعمار عمره ١٣٢ سنة، البنية التحتية فيه مدمرة، ولا يوجد من الدولة كلها سوى لدولة كلها سوى كلمة "استقلال"، ولبّى الشعب الجزائر نداء فلسطين عام ٦٧، اي بعد الإستقلال بخمس سنوات، هنا يمكن القول بأن كان من الممكن للجزائر أن تأتي بحجة أنها خارجة من استعمار ولا زالت تكوّن بلداً وجيشاً وامناً، لكن الجزائر لم تفكر هكذا، بل ذهبوا مجموعات لمقاتلة العدو الصهيوني في فلسطين مع اخوانهم، إذاً لم يتخل الجزائر عن فلسطين رغم كل الظروف الصعبة، فكانت ولا زالت القضية قضية فلسطين.

الجزائر ضدّ التطبيع ومع فلسطين

ويختم الدكتور أحمد ابراهيمي حديثه: عندما كنت أزور غزة واقود قوافل كسر الحصار ومن خلال مشاركاتي في اسطول الحرية وكان لي العديد من المواقف المشرفة حول فلسطين، وفي يوم من الأيام بينما كنت اضع الحجر الأساس لمسجد في غزة جاء في أحد الفلسطينيين وقال لي: هنا في هذا المكان الذي تضع فيه حجر اساس سقط شهيدين جزائريين أثناء القتال الى جانب الفلسطينين في معركتنا ضد الصهاينة، تذكرت حينها يوم جاءت منحة ٧٣ وكيف ذهب الرئيس الراحل هواري بومدين الى روسيا وكيف اعطاه الصك على بياض بأن يعطي السلاح الى مصر في ذلك الوقت، ذاك السلاح وتلك الطائرات هي التي تغلبت بها مصر في ردّها على عدوان الصهاينة، وكيف ذهب المجاهدون من الجزائر الى فلسطين بعدما نزلوا من الجبال بعد ٧ سنوات ونصف من النضال، لم يهدأ المجاهدون بل ذهبوا لنصرة فلسطين، وما قام به الرئيس الشاذلي بن جديد من أجل تأسيس الدولة الفلسطينية في الجزائر... وهذا المسلسل مستمر حتى اليوم مع الرئيس الجديد تبون الذي وقف وزأر المطبيعين وسماها "الهرولة" الكلمة التي أثّرت فيهم كثيراً وادمت قلوبهم عندما قال ما هذه الهرولة؟ ووقف ضد التطبيع مع الإتحاد الإفريقي وهو ما ترك تأثيره على الرياضيين الجزائريين والسياسيين والبرلمانيين الذين يغادرون اي مكان يحلّ فيه صهيوني، تنازل الجزائريون عن ميدالياتهم ذهبية والكثير من الألقاب كي لا يعترفوا بهذا الكيان المجرم الذي احتل بيت المقدس ومنعونا من ممارسة ديننا في هذه الأماكن المقدسة، ونحن لا زلنا حتى هذه اللحظة نناصر فلسطين والقضية ونناضل وندعم مقاومتها بالمال وبكل ما نملك حتى نسترجع بيت المقدس بإذن الله.

الجزائر المقاومة قالت كلمتها عبر التاريخ: فلسطين وصية شهدائنا وتحريرها واجب علينا

بحوالي ٤٠٠ قطعة سلاح ومجموعات من المناضلين إنطلقت الثورة وأشعلت البلد بأكملها